فى علم الاخلاق فان دارسه أقدر على تمحيص الاعمال ونقدها وتقديرها حق قدرها دون أن يخضع فى حكمه الى إلف أو عادة أو يتأثر بحكم البيئة والمكان

(٣) ليس المقصد من دراسة علم الاخلاق أن نستظهر نظرياته ونستذكر قواعده بل الغرض الاسمى منه أن نحمل أنفسنا على سلوك الطريق القويم ونحصّل خيرنا وكمالنا فهو المشجع للارادة على عمل الخير وسلوك السنن القويم والشاد أزر العزيمة على المضى قدما فى الولوع بالفضيلة واتخاذها نبراسا فى كل الاعمال ولكنه ليس بدائم النجاح فى كثير من الاحيان لانه انما ينبت غرسا حسنا اذا وجد أرضا خصبة مستعدة للانبات . فهو اذا لم يجد نفسا مستعدة بالفطرة لسلوك طريق الخير لن يثمر الثمرة المقصودة

(٢)

الخلق واسطه تهذيبيه

الخلق هو تغلب ميل من الميول على الانسان باستمرار فالكريم المسماح هو الذى يتغلب عليه الميل الى البذل

والاعطاء كلما وجد الداعى الى ذلك . والبخيل هو الذى يؤثر جمع المال وادخاره ويتغلب عليه الميل الى منع المال عن غيره جهد المستطاع

أما أولئك الذين لاميول لهم تتجه فى اتجاه واحد باستمرار فلا أخلاق لهم فالشخص الذى تميل نفسه الى العطاء والبذل حينا وتميل الى المنع طورا آخر مع تشابه الدواعى الحافزة فليس كريما ولا بخيلا وليس له خلق ثابت

والسواد الاعظم من الناس لا أخلاق لهم بهذا المعنى فتختلف أحوالهم وتتبدل أعمالهم من حين لآخر فاذا قابلهم كريم جواد وجب اليهم البذل والعطاء وأبان لهم فوائده وآثاره فى المجتمع والشعب. جادوا كالسيل المدرار، وان قابلهم البخيل الشحيح ووسوس اليهم بغوايته وأراهم شبح الفقر المخيف بخلوا وضنوا بما يكنزون

وعلى هذا فالرجل ذو الاخلاق الحسنة هو الذى تتغلب ميوله الطيبة على جهة الاستمرار والرجل الشرير الخبيث بعكس هذا (وبضدها تتميز الاشياء)

مما تقدم نعلم أن الخلق صفة نفسية لا مظهر خارجى . أما المظهر الخارجى للخلق فهو السلوك أو المعاملة فاذا رأينا محسنا يدر الخير على العفاة والبائسين في أحوال متشابهة حكمنا بانه كريم

كيف تربى الخلق

هناك عوامل فعالة تعين على تربية الخلق وترقيته ويكون لها أكبر قسط فى اصلاح السيرة وتقويم ما اعوج منها .

ومن أهم ذلك ما يلى

اتساع المدارك وترقية الفكر — ذاك أن الفكر الضيق المملوء بالاوهام والخرافات مصدر كثير من الشرور والآثام ألا تراك تجد عند بعض الصبيان كثيرا من الجبن والخوف فاذا بحثت عن سببه وجدته ما لقنوه من الصغر من خزعبلات العفاريت والغيلان والمردة ونحو من هذا

كما تجد لدى القبائل الهمجية التى لا تزال على الفطرة الأولى عقائد أساسها ضيق النظر فتراهم مثلا يعتقدون أن العدل وحفظ الحقوق لا يجب عليهم الا نحو بنى جلدتهم

أما غيرهم فليس من الظلم أن تسلب أموالهم أو تهدر دماؤهم الى نحو من هذا

واعتبر هذا بما تراه فى نظر كل أمة الى أعمال الامم الأخرى والى مايحكم به أفرادها على عادات غيرهم تجد أنهم يحسنون أعمالهم ويقبحون أعمال غيرهم حتى لقد يعدون الظلم عدلا والعدل ظلما . كل ذلك للنعرة القومية . وسبيل الخلاص من مثل هذا أن تحب الحقيقة أكثر مما تحب رأيك وأمتك وتولع بالبحث عنها فيتسع نظرك ويصح حكمك

(٢) صحبة الاخيار — ذاك أن الانسان مغرم بالتقليد لما يرى فتراه كما يقلد غيره فى أزيائه يقلد سواه فى أخلاقه وأعماله اذ نشاهد أن معاشرة الاجواد الكرماء تربى الكرم فى نفوس البخلاء . كما أن عشرة الشجعان تورث الجبناء الشجاعة . وكثير من الثبوغ والعبقرية ظهر أثره بصحبة النابهين الاخيار ولقد أكثر العرب من ذلك فى اشعارهم

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدى

وأثر عن بعض الحكماء أنه قال (نبئنى عمن تصاحب أنبئك من أنت

(٣) قراءة سير الابطال والنابغين — إن مطالعة سير أولئك تتمثل للقارىء فى مرآة كبيرة فيجعلهم القدوة الحسنة ويسير على منهاجهم

ولا تخلو أمة من أبطال تورث قراءة سيرتهم وترجمة حياتهم نشاطا الى العمل ودأبا الى الوصول الى عظائم الاعمال وكم رأينا من حفزه الى جليل الاعمال ماقرأه من حادثة طريفة منسوبة إلى بطل من الابطال العظام

ومما يتصل بهذا مانسمعه من الامثال والحكم والمواعظ فانها أفعل فى النفس وأقرب حضورا الى الذهن وبها توجز المعانى المنبسطة التى تحتاج الى شرح وكثير إيضاح

(٤) اقتصار الانسان على نوع من الفضائل

من أجل مايساعد على تربية الخلق أن تتفرغ قوى الانسان وجهوده لنوع من أنواع الفضيلة ويعمل لذلك جهد مايستطيع ويتخير منه مايلائم ميوله واستعداده كان يسعى الى ما يرقى

أمته اقتصاديا أو خلقيا أو دينيا ويهيم بهذا ويولع به فينمو حبه للناس وشغفه بهذا النوع من الفضائل ويجد لديه تربة صالحة للتغذية فينمو فيها ناضر الزهر وشهى الثمرات

(٥) تذليل النفس وطاعتها

من خير مايهذب الخلق أن يحمل الانسان نفسه على الاتيان ببعض الاعمال ويعودها الطاعة لداعى الخير وعصيان داعى الشر حتى يصير لها ذلك بالمران عادة فتلبى النداء لعمل الفضيلة وترعوى عن ارتكاب الرذيلة .

والنفس كالطفل ان تهمله شب على
حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

علاج الخلق

أثر عن أرسطو أنه قال (اذا تعدى خلق امرئ حده فليقومه بضده) وعلى هـذا فاذا أحس الانسان من نفسه إفراطا فى الحصول على لذة من اللذات فليكسر حدة ذلك بالزهد فيها والتباعد عنها

وليس من الخير فى شىء أن يديم الانسان التأمل ويطيل التفكير ويحاسب نفسه لاجل أن يترك خلقا سيئا قد اعتاده . لان ذلك قد يؤدى الى الشعور بالضعف عن المقاومة وفقدان الثقة بالنفس

بل عليه أن ينشىء خلقا كريما ويوجد فضيلة جديدة لتنشط النفس ويتسع أمامها باب الامل والرجاء فمن اعتاد أن يضيع أوقاته فى أندية اللعب والملاهى فليختط خطة جديدة يشغل بها وقته كرحلة الى استكشاف مفيد أو لارتياد مجهول أو استقصاء بحث علمى يحتاج الى البحث والتمحيص .

العادة

كل شىء يعمله الانسان ويتكرر منه حتى يسهل عليه أن يعمله فى كل وقت وآن يسمى عادة . وأكثر مايعمله الانسان فى مختلف أطواره من هذا النوع كالجرى والمشى واتباع طريق خاص فى النوم واللباس والكلام الى نحو من هذا .